بسم اللّه الرحمن الرحيم

شرح عقيدة الرازيين

أبي زرعة وأبي حاتم- المجلس التاسع

قال الرازيان: (والجنة والنار حق وهما مخلوقتان لا يفنيان أبداً فالجنة ثواب لأوليائه والنار عقاب لأهل معصيته إلا من رحم).

ذكر اللّه الجنة والنار في كتابه في مواضع كثيرة، بل كل معنى من معاني الخير المأمور بها في القرآن تدل على الجنة، وكل معنى من معاني الشر المنهي عنها في القرآن تدل على النار.

قال تعالى عن الجنة (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة) وقال تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار)

وقال تعالى عن النار (واتقوا النار التي أعدت للكافرين) وقال: (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة) ويسميها اللّه جهنم والعذاب وغير ذلك .

وذكر اللّه في كتابه من اوصاف الجنة والنار ما لا يتسع المقام لذكره، ولا مقام لعبد في الآخرة إلا في إحداهما، ولذا لا يذكر اللّه الجنة إلا معها النار ولا يذكر النعيم إلا ومعه العذاب .

والإيمان بالجنة والنار واجب، ولا يصح الإيمان إلا بهما لأن الجنة ثوابه والنار عقابه، وبجحدهما تكذيب لجميع الرسل والرسالات، ومن أنكرهما فقد أنكر لوازمهما إذ لا معنى لإرسال الرسل وجهادهم ولا معنى للكتابة والحساب على العباد، ولا معنى للبعث والنشور والعرض والميزان والصراط والحوض والحسنات والسيئات والطاعات والمعاصي، ولا معنى لمؤمن ولا كافر ولا صالح ولا فاسق، ومن كفر بهما لا يصح له إيمان ففي البخاري من حديث عبادة رضي اللّه عنه: عن النبي صلى اللّه عليه و سلم قال: (من شهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له وأن

محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد اللّه ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله اللّه الجنة على ما كان من العمل، ومن لم يؤمن بهما وأنهما حق فليس له من جنة اللّه نصيب .

وقد كان النبي صلى اللّه عليه وسلم يقر بهما في تهجده كما في الصحيحين من حديث ابن عباس قال: كان النبي صلى اللّه عليه و سلم إذا تهجد من الليل قال: (اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ولك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن أنت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ولقاؤك الحق والجنة حق والنار حق والنبيون حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت إلهي لا إله إلا أنت)

فقرن الجنة والنار بحق اللّه بالإيمان به وبوعده وقوله ولقائه وبالساعة والإيمان بجميع أنبيائه.

وقول الرازيين: (وهما مخلوقتان) أي خلقهما اللّه قبل عمل العاملين، وتكليف المكلفين، كما قال تعالى في الجنة (أعدت للمتقين)، وقال تعالى: (أعدت للذين آمنوا باللّه ورسله)، وقال تعالى في النار (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)، وقال (واتقوا النار التي أعدت للكافرين) وقال: (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا).

وذكر اللّه لإعدادهما دليل على سبق وجودهما لإيمان العباد وكفرهم، فالجنة أعدت للمؤمنين أي قبل كونهم مؤمنين، والنار أعدت للكافرين أي قبل كونهم كافرين، فإن الجوائز إذا أعدت فتكون قبل العمل لاستحقاقها، ومثلها العقاب والعذاب .

وقد دلت الأدلة في السنة على هذا المعنى من كتاب اللّه، ومن ذلك ما في الصحيحين قال صلى اللّه عليه وسلم: (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء).

وقد أعد اللّه الجنة على الصورة التي يتنعم بها أهلها لو دخلوها، بثمارها وأنهارها وطعامها وحورها وولدانها وخيامها وقصورها، وقد أعد النار على الصورة التي يعذب بها أهلها لو دخلوها بحرها وزمهريها وزقومها وكلاليبها وعصارتها ودركاتها، أعد لهم الجنة والنار ويعلم أماكنهم فيها ونعيمهم وعذابهم منها كما يعلم أماكن الخلق في الدنيا وخيرهم وشرهم فيها، ففي الصحيحين من حديث ابن عباس قال قال صلى اللّه عليه وسلم: (إني أُريت الجنة فتناولت عنقوداً ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أرى منظراً كاليوم قط أفظع).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة يقول قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فهو أشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير.

وقد أُدخل النبي صلى اللّه عليه وسلم الجنة ورأى حبايل اللؤلؤ وترابها المسك كما في قصة المعراج في الصحيحين، وفيهما من حديث أبي هريرة انه صلى اللّه عليه وسلم رأى في المنام أنه دخل الجنة فرأى قصر عمر فيها.

ومن صريح الأدلة في خلق الجنة ما أخرجه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة عن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال: (لما خلق اللّه الجنة، قال لجبريل: اذهب فانظر إليها).
وقد حكى الرازيان الإجماع على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان، وحكى الإجماع أيضاً أبو عثمان الصابوني وابن حزم وابن عبدالبر وأبو القاسم الأصبهاني وأبو الحسن الأشعري وابن تيمية وابن القيم وجماعة، ونص على وجودهما أحمد وابن خزيمة وغيرهم.

وذهب الجهمية والمعتزلة والقدرية إلى ان اللّه لم يخلق الجنة والنار بعد، وإنما يكون خلقهما يوم القيامة، ويرون وجودها قبل ذلك مدداً طويلة عبث يتنزه اللّه عن فعله، وحملهم على ذلك تجويز التشريع ومنعه بالاستحسان والتقبيح العقلي فجعلوه حتى في فعل اللّه تعالى، ومن ذلك أنهم ينفون القدر ولا يقولون به، ومقتضى ذلك فلا منازل لأحد قبل ثبوت الاعمال وانقضاء الآجال، فيكون بعد ذلك تقدير الثواب والعقاب، ويرون خلقهما قبل ذلك يعارض قولهم في القدر، فبنوا باطلاً على باطل، وكل عقيدة باطلها فلا بد أن ينشأ عنها أمثالها من لوازم الباطل، وكثيراً ما يلتزم أهل البدع بلوازم لأقوال باطلة تلزم قولاً لهم لم يجسروا على الالتزام به تهيباً منه وإنما يلتزمون بلوازمه، كمن ينفي القدر ولا يلتزم بنفي العلم، فإنه يلتزم بلوازم نفي العلم ولو لم يقل به، كالتزام المعتزلة والقدرية بالقول بعدم خلق الجنة والنار لأن مقتضى القول بذلك إقرار بالقدر والعلم اللازم لتهيئة كل ساكن في الجنة والنار لمكانه ومقعده ودرجته ومنزلته قبل عمله بالخير والشر وتقديره عليه، وعلم اللّه السابق بذلك.

وقد تمسك بعض من قال بعدم وجود الجنة والنار ببعض المتشابه من نصوص الوحي:

فمن أدلتهم: قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه)، وأن الفناء مكتوب على كل شيء ومن الشيء الجنة والنار لو كانت موجودة، وجواب ذلك أن اللّه أراد ما كتب عليه الهلاك وهذا الأصل في المخلوقات مما لا يُحصى عداً، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء، وقوله تعالى هنا (كل شيء هالك إلا وجهه) شبيه بقوله صلى اللّه عليه وسلم: (كان اللّه ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض)، فذكر صلى اللّه عليه وسلم أنه اللّه كان ولا شيء غيره ثم ذكر معه العرش والماء واللوح ولا خلاف أنها مخلوقة، فقوله (لا شيء غيره) يعني مما كتب اللّه عليه الهلاك، وإلا فيلزم من ذلك أن يُقال أن العرش والماء واللوح والقلم هو اللّه أو من اللّه، وهذا لا يقول به مسلم، وهذا الاستثناء كما أنه في الحديث فهو في الآية (كل شيء هالك إلا وجهه) وقد دل الدليل على استثناء الجنة والنار كما دلت الأدلة وتواترت على وجودها الآن.

والجنة والنار ليست من أمر الحياة الدنيا والأصل في الخطاب للناس أنه لما يتعلق بدنياهم، ولهذا قال تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك) وقد دل الدليل على تغيير السماء غير السماء والأرض غير الأرض بدليل آخر والتبديل يقتضي فناء السابقة، ولا يلزم من الفناء انعدام الأشياء ولكن الذي يلزم منه تغيرها، فقد يحيل اللّه الذوات من شيء إلى شيء ويسميه فناء كموت الإنسان يُحيله اللّه من حي إلى ميت أو إلى رميم ويبقى منه عجب الذنب ينبت به، وهذا فناء، وثبت في الصحيحين قال صلى اللّه عليه وسلم: (ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ومنه يُرَكَّب الخلق يوم القيامة).

وعدم التفريق بين العدم والفناء والهلاك وجعلهما بمعنى واحد وهو العدم غلط، وهو الذي جعل كثيراً من الفلاسفة والمتكلمين يستثقلون القول ببقاء ذوات تتغيّر وتستحيل وتتبدل لأن ذلك دوام وبقاء لا يكون إلا للّه، واللّه بقاؤه ودوامه بلا تغير فمن أسمائه القيوم القائم بنفسه على مخلوقاته خلقاً وتدبيراً ورزقاً وحياة وموتاً وتغييراً.

ولم يثبت دليل في الكتاب والسنة أن اللّه يُعدم كل شيء، وإنما الثابت إطلاق الفناء والهلاك وهو بما قبل الآخرة، فتتغير السماء والأرض من حال إلى حال (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات) فتنشق السماء وتكون وردة كالدهان، وتنسف الجبال وتسيّر كالسراب وتمر مر السحاب وتبس بساً وتدك دكا وتكون كالعهن المنفوش وكالكثيب المهيل، وتدك الأرض وتنكدر النجوم وتطمس وتنتثر الكواكب وهذا هلاكها وتبديلها وفناؤها لا إعدامها، وكما أوجد اللّه المخلوقات من عدم قادر على إعدامها، وليس ذلك على اللّه بعزيز، ولكن الادلة دلت على الهلاك والفناء والتبديل لا على الإعدام، إذا تقرر هذا عُرف أنه لا تشبيه بين وجود المخلوقات وبقاؤها بدوام اللّه وبقائه، فاللّه قيوم لا تغيره الحوادث يقوم على المخلوقات وهو غني عنها وهي لا تقوم إلا به مفتقرة بكل شيء إليه، ويكتب لمن شاء الخلود ولمن شاء الفناء أو العدم، وما كتب له البقاء لا يشاركه في قيوميته وآخريته سبحانه، ولا خلاف عند أحد من المسلمين على جواز إفناء العالم وإعدامه وأن للّه القدرة على ذلك وإنما الكلام في إرادة اللّه لذلك، واللّه أعلم.

وقد حكى غير واحد الإجماع كابن تيمية على أن من المخلوقات ما لا يفنى وأن اللّه استثناه كالعرش والجنة والنار، ومثله كذلك الأرواح ففي المسند قال صلى اللّه عليه وسلم: (إنما نسمة المؤمن طير تعلق بشجر الجنة حتى يرجعه اللّه تبارك وتعالى إلى جسده يوم يبعثه اللّه) وقال بعض الأئمة أن ما لا يفنى القلم واللوح، وقد استثنى اللّه بعضاً كما في قوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ)، وقد روى البيهقي من قول ابن مسعود: (ثم يقوم ملك الصور بين السماء والأرض فينفخ فيه، والصور قرن، فلا يبقى للّه خلق في السماوات ولا في الأرض إلا مات: إلا من شاء ربك)، وروي فيمن استثني روايات وآثار فقيل الشهداء صح عن سعيد بن جبير، وقيل حملة العرش، وقيل جبريل وميكائيل وملك الموت وفيه شيء مرفوع لا يصح، ولا ينبغي الخوض في شيء من ذلك ولا الرجم به بلا بينة ولا برهان وقد توقف النبي صلى اللّه عليه وسلم في موسى فقال: (لا أدري أكان فيمن صعق أم حوسب بصعقة الأولى) وهو نبي يوحى إليه والجسارة على تعيين احد بلا بينة من اللّه أمر عظيم، ولذا قال قال قتادة: استثنى اللّه واللّه أعلم إلى ما صارت ثنيته.

وما روى عن بعض السلف من تعيين بعض ما استُثني لعل فيه اعتماد على مأثور، وكل موكول إلى ما يعلم، واللّه أعلم.

ومن أدلتهم: أن الادلة قد دلت على أن أشياء في الجنة والنار تنشأ مع فعل العباد لا قبل ذلك، ومن ذلك ما في الترمذي من حديث جابر قال صلى اللّه عليه وسلم: (من قال سبحان اللّه العظيم وبحمده، غرست له نخلة في الجنة)، ومنه قول امرأة فرعون (رب ابني عندك بيتا في الجنة) وهذا إنشاء يكون بعد العمل لا قبله، والجواب عن ذلك أنه لا يلزم من وجود الجنة الزيادة فيها، كما أن الزيادة فيها قد تكون بعد دخولهم الجنة في الآخرة فما يشتهون يتحقق لهم كما جاء في بعض الروايات في طلب الولد وغير ذلك، فالأدلة قد دلت على وجود الجنة بما فيها من قصور وأنهار وحور وأما الزيادة على ذلك بنعيم آخر فهذا يثبته الدليل حتى بعد الدخول فيها، ولا تعارض بينهما.

قال الرازيان: (لا يفنيان أبداً)

وقد تواتر النص بدوام البقاء للجنة والنار.

قال تعالى في الجنة (خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) وقوله (لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين)، ونعيم الجنة دائم غير منقطع كما في قوله تعالى (لا مقطوعة ولا ممنوعة)، ولا يموت اهلها ولا يفنون، كما قال تعالى (لا يموتون فيها إلا الموتة الأولى و وقاهم عذاب الجحيم).

وأما في بقاء النار وخلودها فقال تعالى (إن اللّه لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبداً) وقوله (أولئك أصحاب النار خالدين فيها أبداً)، وأهلها الكافرون خالدون فيها على الدوام كما قال تعالى (وما هم بخارجين من النار)، ولا يفنون فيها كما قال تعالى (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها)، وقال تعالى (إنه من يأت ربه مجرماً فإن له نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيى).

وذكر اللّه الخلود في الجنة والنار في عشرات المواضع من القرآن.

وخلود أهل الجنة فيها وخلود أهل النار الكافرين فيها واحد لا نهاية له، ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي اللّه عنهما: عن النبي صلى اللّه عليه و سلم قال (يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم يا أهل النار لا موت ويا أهل الجنة لا موت خلود).

ونحوه في البخاري من حديث أبي هريرة، وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد أنه يؤتى بالموت كأنه كبش أملح فيذبح فيقال: (يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت).

وقد حكى غير واحد من الأئمة الإجماع على بقاء الجنة والنار وعدم فنائهما كالرازيين هنا وكأبي عثمان الصابوني وابن حزم وابن عبدالبر وابن تيمية وابن

القيم، وقال الأشعري: قال أهل الإسلام جميعاً: ليس للجنة والنار آخر، وأنهما لا تزالان باقيتين.

ولم يقل أحد من أهل الإسلام بأن الجنة تفنى وأن أهلها يبيدون، ولا أن نعيمهم ينقطع، وقد جاءت آثار وأخبار عن بعض السلف في النار وأهلها، ويأتي بيان ذلك.

ومنهم من يجعل النار على طبقتين الاولى للكفار والثانية للعصاة، وأن نار العصاة غير نار الكفار وأنها هي التي تفنى كما ذكره ابن القيم، كما في الوابل، ويُنسب لابن تيمية القول بفناء النار والصريح عنه خلافه بل حكى الإجماع على خلافه.

وإنما ذكر الرازيان النص على عدم فناء الجنة والنار وذلك لبيان مخالفة قول جهم ومن قال بقوله بأن الجنة والنار تفنيان، وكذلك فناء أهلهما، لأن جهماً يجعل كل حادث فاني ولا يستثني من ذلك شيء، والقول بحدوث شيء لا ينفي قدرة اللّه على دوامه، وقد ذكر اللّه دوامهما وخلودهما فوجب التسليم .

ومن المعتزلة من يرى أن حركات أهل الجنة وتنعمهم وحركات أهل النار وعذابهم ينقطع فيكونون جمادات، وهو قول أبي الهذيل العلاف، ومعنى كلامه أنهم يبقون ولكن بلا إحساس بنعيم ولا عذاب لأنه يقول بامتناع حوادث لا نهاية لها، وقال ابن عربي أن أهل النار تنقلب طبائعهم إلى نارية يتلذذون بالعذاب كما يتلذذ أهل الجنة بالنعيم، وهذا قول بعض الزنادقة .

وقد استدل من قال بالفناء ببعض ظواهر النصوص، وشيء من الآثار:

فمن أدلتهم : أن اللّه ذكر السعداء ومنزلهم الجنة وأطلق الخلود غير المنقطع بعد الاستثناء كما في قوله (وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها أبداً ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ) يعني غير مقطوع، ولكن لما ذكر قبل ذلك الأشقياء ومنزلهم النار استثنى ولم يذكر الدوام غير المقطوع، فقال تعالى: (فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما

دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد)، والجواب عن ذلك من وجوه:

الأول: أن داخل الجنة يختلف عن داخل النار، فمن دخل الجنة لا يخرج منها أبداً بخلاف من دخل النار فقد يخرج منها إن كان مؤمناً شقياً بكثرة ذنوبه وظلمه فإن لم يغفر الله له فإنه يُعذبه مدة زمنية ثم يُخرجه من النار إلى الجنة.

الثاني: أن الاستثناء لبيان كمال القدرة والتصرف لا إرادة خلاف الفعل بعينه، ومن ذلك قول الله تعالى: (وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً) فالله يبين قدرته على فعل ما شاء وتمام تصرفه بلا إكراه من أحد، لا أنه يريد الذهاب بالوحي عن نبيه صلى الله عليه وسلم، ومنه قوله تعالى: (فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ) لبيان كما قدرته وتمام تصرفه ومشيئته، وهو يعلم سبحانه أنه لن يختم على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا كثير في القرآن يذكر الله المشيئة لبيان تمام التصرف بالخلق، كقوله تعالى (وما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون)، وقوله (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به) وقوله عن يوسف وأخيه (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله).

الثالث: أن تمام القدرة والتصرف والمشيئة لله يظهر في أهل النار أكثر من أهل الجنة، لأن من دخل الجنة لا يريد الخروج منها ومن دخل النار يريد الخروج والفرار منها، فأهل الجنة لا يريدون الخروج عن إرادة الله لهم لأنهم يحبونها، بخلاف أهل النار فهم يودون الخروج عنها ولكن لا يستطيعون لهذا خصهم الله بقوله (إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد) فإرادة أهل الجنة في الجنة ومشيئتهم موافقة لإرادة الله ومشيئته لهم، وإرادة أهل النار مخالفة لإرادة الله ومشيئته عليهم لهذا تنفذ عليهم مشيئة الله ولو كانوا كارهين فقال: (إن ربك فال لما يريد).

الرابع: لا يجوز ترك المحكم البين والتعلّق بمشتبه القرآن، فالله بين حكمه وقضاءه في أهل النار أنهم لا يخرجون منها ولا يموتون فيها، قال: (وما هم بخارجين من النار).

ومن أدلتهم: ما جاء من آثار ومرويات عن جماعة من الصحابة والتابعين في القول بفناء النار وعدم دوامها، فقد روي في ذلك عن عمر وعبدالله بن عمرو وابن مسعود وابن عباس وأبي هريرة، وعن الشعبي ولا يصح منها شيء عن صحابي ولا تابعي:

فأما ما جاء عن عمر رضي الله عنه أنه قال: لو لبث أهل النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم على ذلك يخرجون فيه. فقد رواه عبد بن حميد عن الحسن عن عمر، وهو منقطع، والحسن يروي عن ضعفاء.

وأما ما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: (يأتي على النار زمان تخفق الرياح أبوابها، ليس فيها أحد. - يعني من الموحدين-، فهو موقوف وهو منكر أنكره الذهبي وغيره، فقد رواه البزار والفسوي وحرب الكرماني من حديث أبي بلج العزازي عن عمرو بن ميمون عن عبدالله بن عمرو.

وأبو بلج في حفظه ضعف، وقال أحمد: روى حديثاً منكراً، وقد حدث ثابت البناني الحسن بهذا الأثر فأنكره، كما رواه الفسوي، وإنكار الحسن له دليل على نكارة ما رواه هو عن عمر فيما سبق، فلو كان يحفظه عن عمر لما انكره على عبدالله بن عمرو.

وتقييده بالموحدين لعله من قول البزار، لأن الفسوي لم يذكره وطريقهما واحد، وهو تفسير صحيح .

وروي عن ابن مسعود مثله، علقه ابن جرير عنه قال حدثت عن ابن المسيب عمن ذكره عن ابن مسعود، وهذا سند لا يعتد بمثله.

وجاء بنحو لفظ هذا الموقوف حديث مرفوعا أخرجه الطبراني من حديث أبي أمامة وفيه جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة وجعفر متهم بالوضع.

وأما جاء عن ابن عباس: أن الله يأمر النار أن تأكلهم، فقد رواه ابن جرير وهو معضل أرسله عن ابن المسيب وأرسله ابن المسيب عن ابن عباس، فقال ابن جرير حدثت عن ابن المسيب عمن حدثه عن ابن عباس.

وروي عن ابن عباس قول يورده بعضهم في الاستدلال على فناء النار وهو ما يرويه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال في قول اللّه تعالى (قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء ربك إن ربك حكيم عليم). قال: لا ينبغي لأحد أن يحكم على اللّه في خلقه أن لا ينزلهم جنة ولا ناراً.

وهذا القول ليس في هذه المسألة صريحاً، فلا يحكم لأحد بجنة ولا نار ما لم يحكم اللّه فيه، ولا يحكم لأحد بمقدار لبثه في النار ممن كتب اللّه له النار من عصاة الموحدين.

وأما ما جاء عن أبي هريرة: سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد، فقد رواه إسحاق بن راهوية عبيداللّه بن معاذ عن أبيه عن شعبة، عن يحيى بن أيوب عن أبي زرعة وعن أبي هريرة به.

وهذا أمثل شيء في هذا الباب، لكن قال عبيد اللّه: كان أصحابنا يقولون: يعني من الموحدين، وعبداللّه هو رواي الحديث وشيخ إسحاق فيه، وما كانوا يحملون الحديث على غير الموحدين، وأبو هريرة هو أحد رواة حديث ذبح الموت، وأعلم الناس بخلود أهل النار وخلود أهل الجنة، ولكن اللّه يخرج من النار الموحدين ويخلو نارهم منهم، ولا يخلفهم فيها كافر لأن الكفار في منازلهم التي أنزلهم اللّه إياها، ولا يبقى بعد المؤمنين كفار وتجتمع الأمة على أن الكفار أشد عذاباً من الموحدين الداخلين في النار، فإذا خرج الموحدون خلى مكانهم لأن الكافر لا يخفف عذابه فينتقل إلى مكان المؤمن العاصي، كما في قول اللّه تعالى: (لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا) فالكافر إما باق في مكانه أو يزاد عليه أشد منه.

وأما ما جاء عن الشعبي أنه قال: جهنم أسرع الدارين عمرانا وأسرعهما خرابا، فرواه ابن جرير عن محمد بن حميد الرازي عن جرير عن بيان عن الشعبي ومحمد بن حميد شيخ الطبري متكلم في حفظه.

وصح عن ابن زيد التوقف، فقد قال: أخبرنا بالذي يشاء لأهل الجنة فقال (عطاء غير مجذوذ)، ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار.

وقد جاء في غير ما حديث أن الجرجير ينبت في الجنة، من حديث واثلة بن الأسقع رواه الحارث وفيه عبدالرحيم بن واقد ولا يحتج به، ومن حديث علي وفيه وضّاع.

ومكان الجنة في السماء، كما في قول اللّه تعالى: (عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ۞ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى)، وسدرة المنتهى فوق الجنة السابعة كما ثبت في قصة الإسراء، وسقفها العرش كما في الصحيح من حديث أبي هريرة قال صلى اللّه عليه وسلم: (إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ).

وأما النار فلا يثبت في مكانها اليوم حديث عن النبي صلى اللّه عليه وسلم صريح، واللّه أعلم بموضعها، ولكن الثابت ان الصراط على متنها والصراط يمر عليه أهل الجنة إلى الجنة، وثبت أنه يؤتى بالنار يوم القيامة وكأنها لم تكن في موضع ثابتة لا تتحرك منه، كما في حديث ابن مسعود مرفوعاً: (يؤتى بالنار يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك)، وجاء في أن النار في الأرض عن ابن عباس وابن مسعود وعبداللّه ب سلام، وفي المسند من حديث البراء قال صلى اللّه عليه وسلم: (يقول اللّه في الكافر: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحاً) وهو صحيح، ولا يظهر أنها نار الخلود لأمرين:

الأول: أن الأرض تُبدل غير الأرض ويلزم من ذلك تبديل النار معها لو كانت هي المقصودة فيها، كما قال تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات).

الثاني: أن حجم أبدان أهل النار جميعاً أعظم من حجم الأرض وجوفها كله اليوم، وجهنم أعظم وأكبر، لعظم أهلها ففي صحيح مسلم قال صلى اللّه عليه وسلم: (ضرس الكافر، أو ناب الكافر، مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث)، وعنده في الحديث الآخر مرفوعاً: (ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام

للراكب المسرع)، وفي المسند قال صلى اللّه عليه وسلم: (ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد، وعرض جلده سبعون ذراعاً، وعضده مثل البيضاء، وفخذه مثل ورقان، ومقعده من النار ما بيني وبين الربذة)

وفي حديث عند الترمذي قال صلى اللّه عليه وسلم: (إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً، وإن ضرسه مثل أحد، وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة)، وهذه الاحاديث الأربعة كلها من حديث أبي هريرة مرفوعة.

وإذا كان هذا في الواحد من أهل النار المخلدين فيها فكيف بجميعهم وهم أكثر من أهل الجنة.

وقول الرازيين (الجنة ثواب لأوليائه)

لا يدخل الجنة إلا مؤمن، كما قال تعالى (إنه من يشرك باللّه فقد حرما للّه عليه الجنة)، وقال تعالى عن الكافرين (لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط)، وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود قال صلى اللّه عليه وسلم: (الجنة لا يدخلها إلا نفس مؤمنة).

وقول الرازيين (والنار عقاب لأهل معصيته إلا من رحم اللّه)

ذكرا المعصية ليشمل الكفار والمؤمنين، فإن الجميع عصاة ولكن لا يخلد في النار إلا مشرك، ويخرج منها الموحدون، وفي قولهما هذا رد على قول المرجئة الذين يقولون بجواز عدم دخول العصاة للنار، وهذا مخالف للأحاديث الثابتة أن اللّه يدخل قوماً من الموحدين العصاة ثم يخرجهم منها، وهم المقصودون بقول الرازيين (إلا من رحم اللّه).

والنار يدخلها الكافرون ولا يخرجون منها، على ما تقدم من آيات وأحاديث، وأما العصاة من المسلمين فعلى ثلاثة أقسام، قسمان يدخلون الجنة ولا يدخلون النار، وقسم يعذبون ما شاء اللّه أن يعذبوا ثم يُخرجون إلى الجنة:

أما القسم الأول: فهم مسلمون عصاة، ولكن حسناتهم أكثر من سيئاتهم فترجح كفة الحسنات فهؤلاء يدخلون الجنة ابتداء وتكون منزلتهم منها بمقدار ما زاد من حسناتهم على سيئاتهم، إن لم يغفر اللّه لهم سيئاتهم فيُرفعون بحسناتهم كلها لأن اللّه عفى عما يُقابلها وهي السيئات ولو كانت قليلة. ويلحق بهذا القسم من تساوت حسناته بسيئاته فرحمة اللّه تسبق غضبه، ومنزلتهم في الجنة بمقدار ما فاض عليهم اللّه من رحمته فرفعهم وبمقدار ما عفى عنهم من سيئاتهم فغفرها لهم.

وأما القسم الثاني: مسلمون عصاة سيئاتهم أكثر من حسناتهم، ولكن اللّه عفى عن سيئاتهم كلها أو مقدار ما زادت به السيئات على الحسنات أو أكثر من ذلك، فهؤلاء يدخلون الجنة ابتداء بمقدار ما رجح من حسناتهم كسابقيهم.

وأما القسم الثالث: فمن رجحت سيئاته على حسناته ولم يغفر اللّه لهم سيئاتهم فيدخلون النار، وعذابهم فيها ومقداره وزمانه ومنزلته بمقدار ما زاد من سيئاتهم على حسناتهم فيبقون حتى يُطهروا فيخرجون، ولا يتفق أهل الذنوب من كتب اللّه عليه النار من المؤمنين في مدة العذاب ولا في نوعه وطبقته، ولذا قال تعالى (لابثين فيها أحقاباً) يعني مدداً وأزمنة.

ومن رحمه اللّه وعفا عنه هم الذي أرادهم الرازيان بقولهما (إلا من رحم).

قال الرازيان: (والصراط حق).

والمراد بالصراط المضروب على متن جهنم، ويسمى الجسر كما في الصحيحين قال أبو سعيد قلنا يا رسول اللّه مالجسر؟ قال: (مدحضة مزلة).

وما من احد إلا ويمر عليه مهما كانت منزلته وعلت ولايته، فلا طريق إلى الجنة إلا عليه، قال تعالى: (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً) فسره بالمرور على الصراط ابن مسعود وجابر والحسن، وغيرهم.

قال ابن مسعود: الورود ليس بالدخول فيها ولكنه حضورها والوقوف عليها مثل الدابة ترد الماء ولا تدخله.

وفي البخاري عن أبي هريرة رضي اللّه عنه: عن النبي صلى اللّه عليه و سلم قال (لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم) قال البخاري: (وإن منكم إلا واردها).

وجاء تفسير السعي في قوله تعالى (يوم لا يخزي اللّه النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) بأنه السعي على الصراط والنور الذي ينير الطريق رواه عطية العوفي عن ابن عباس.

والصراط مضروب على متن جهنم وظهرها يمر المار عليه ويراها ويرى من فيها، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال صلى اللّه عليه وسلم: (يضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان) . قالوا نعم يا رسول اللّه قال (فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا اللّه تخطف الناس بأعمالهم فمنهم المؤمن يبقى بعمله أو الموبق بعمله أو الموثق بعمله ومنهم المخردل أو المجازى).

وقد جاء في اوصافه احاديث كثيرة، ففي مسلم من قول أبي سعيد قال: أنه أدق من الشعر وأحد من السيف، وفي البخاري من حديث أبي هريرة أن شعار المسلمين سلم سلم.

وجاء من حديث ابن مسعود مرفوعاً وكذلك عن سلمان موقوفاً ومرفوعاً والوقف أشبه أنه مثل حد السيف، رواهما الحاكم.

والناس يمرون على الصراط بمقدار اعمالهم، كما في الصحيحين من حديث قال صلى اللّه عليه وسلم: (المؤمن كالطرف وكالبرق وكالريح وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلّم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحباً)، وأول من يجوز على الصراط أمة محمد صلى اللّه عليه وسلم لما

ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة، وأول من يجوزه من أمة محمد فقراء المهاجرين كما ثبت في مسلم من حديث أبي هريرة.

يمر على الصراط أهل الإيمان، واما الكفار والمشركون فلا يمرون عليه، وإنما يردون النار ويسحبون إليها .

وقد أنكر الصراط طوائف كالمعتزلة والخوارج لأنهم حملوا معنى الورود على الدخول وعندهم من دخلها لا يخرج منها على ما تقدم من اعتقادهم في مرتكب الكبيرة، وحملوا الوروود على الصراط كما تقدم في الآية على الورود في قوله تعالى (يقدم قومه فأوردهم النار وبئس الورد المورود)، وهذا ورورد الكافرين وذاك ورود المؤمنين والكافرين .

وبعض المعتزلة يُنكر الصراط لأنه يرى أن العبور عليه والنجاة منه كالحظ، وأن في المرور عليه تعذيب ولا عذاب على المؤمنين كما يعلله القاضي عبدالجبار وغيره، وهذا من الجهل لأمور:

أولاً: أنه لا أثر لحذق المشاة وحصافتهم في النجاة من الصراط، ولا أثر لروغان الصراط ودقته في سقوط الناس، وإنما يسقط الناس في النار بسبب كلاليب مكتوبة عليها أسماء أهل النار، كما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة قال صلى اللّه عليه وسلم: (في حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به)، وفي حديث قال صلى اللّه عليه وسلم: (تخطف الناس بأعمالهم فمنهم المؤمن يبقى بعمله أو الموبق بعمله أو الموثق بعمله ومنهم المخردل أو المجازى).

والعمل هو الذي يسير المارين على الصراط ويضيء لهم، لا أقدامهم وحسن سيرهم بأنفسهم، فقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة مرفوعاً: (حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً).

وجاء عن ابن مسعود قوله: (يكون آخرهم رجلاً يتلبط على بطنه يقول: يا رب لم أبطأت بي؟ فيقول: إنما أبطأ بك عملك!)

وروى البيهقي بسنده عن مسروق، عن عبدالله، قال: يجمع الله الناس يوم القيامة إلى أن قال: فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر من يعطى نوره في إبهام قدمه، يضيء مرة ويطفأ أخرى، إذا أضاء قدم قدمه، وإذا أطفأ قام.

ثانياً: أن الله جعل المرور عليه لا بد منه للمؤمنين الناجين لحكم منها أنه أعظم للتنعم بالجنة، فمن رآى منزلاً مهلكاً فأنجاه الله منه ثم نعمه، كان تنعمه ورضاه وقرة عينه بالنعيم الذي يعقب ذلك أعظم مما لو جاءه النعيم ولم ير موضعاً للهلاك، فمن النعيم النجاة من الجحيم، ويظهر نعيمهم بعد مجاوزتهم كما في الحديث قال صلى الله عليه وسلم: (فيخلصون فإذا خلصوا قالوا: الحمد لله الذي نجانا منك بعد أن أرانك، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحد)، فهم قد عرفوا قدر النعيم بالسلامة، فإن السلامة من الهلاك بعد الإشراف عليه من أعظم النعيم لذة.

ولا يعذب الله أحداً ممن يمر من الصراط من الموحدين بخدش أو حر إلا ويريد تطهيره بذلك لذنوب كانت منه فاستحق ذلك فالله لا يظلم أحداً، وقد ثبت في الصحيح أن هؤلاء المخدوشون إنما خدشواء جزاء على ذنوب اقترفوها، ففي الصحيح قال صلى الله عليه وسلم: (ومنهم المجازي حتى ينجى).

ومن آمن بأن من الموحدين من يُعذّب بالنار فيدخلها فإن إيمانه بالمرور عليها والخدش على الصراط مع سلامة من باب أولى، ولكن المعتزلة لا يؤمنون بذلك كله.

وأما من صح إيمانه ومن غفر الله له ذنبه ممن استحق العذاب فإنه يجاوز الصراط بسرعة لا يتأثر بمروره عليها.

الثالث: أن الصراط من جهة أصله لا يستقيم عقلاً بالحس الدنيوي أن يُمشى عليه بالأقدام لدقته وحدته، فإنكاره بنفي الاستقامة عليه واستحالة مرور أحد

عليه أولى من إنكاره لكون النجاة منه كالحظ لأن العقل المادي اليوم يستحيل نجاة أحد أبداً، فدل هذا على وجوب التسليم به لثبوت الخبر عنه، وأن لا مدخل لإنكاره بالعقل، ولو كان للعقل مدخلاً لإنكار الغيب لكان إنكار بعث الأموات من قبورهم وهم رفات أولى بالإنكار من الصراط.

ومن سلك الصراط المستقيم في الدنيا وجازه ورد الصراط على متن جهنم وجازه، وبمقدار سلوكه وثباته واتباعه لصراط الدنيا يكون وروده وسرعة نفوذة على صراط الآخرة.

قال الرازيان: (والميزان حق له كفتان يوزن فيه أعمال العباد حسنها وسيئها حقٌ).

الميزان حق كما قال تعالى (والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون)، وقال: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ)، وتواتر ذكر الميزان في السنة والأثر، ففي الصحيح قال صلى اللّه عليه وسلم: (والحمد للّه تملأ الميزان) وفي الصحيحين قال: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان اللّه وبحمده، سبحان اللّه العظيم)، وثبت ذكر الميان في السنة من حديث جماعة من الصحابة كمعاذ وأبي الدرداء وعبداللّه بن عمرو وعائشة وسلمان، وجاء موقوفاً عن أنس وحذيفة وغيرهم، وقد حكى الإجماع على وجوب الغيمان به جماعة كابن بطة وغيره.

والمراد بالميزان ما تعرف به مقادير الأشياء، وهو ميزان على الحقيقة قال تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين)، وفي الصحيحين قال صلى اللّه عليه وسلم: (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان اللّه وبحمده سبحان اللّه العظيم)، وفي المسند والسنن من حديث أبي الدرداء مرفوعاً: « مَا مِنْ شَىْءٍ أَثْقَلُ فِى الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ ».

وعلى الإيمان بالميزان كان الصحابة والتابعون وأئمة السلف لم يكونوا يختلفون على ذلك، قال زهير بن عباد: كل من أدركت من المشايخ مالك وسفيان وفضيل وعيسى بن يونس وابن المبارك ووكيع بن الجراح كانوا يقولون: الميزان حق.

وأنكرت المعتزلة الميزان بالعقل وتركت النقل، فحملوا الميزان على العدل والإنصاف وعدم الظلم، لأن الأعمال أعرا والأعراض لا توزن، والله قادر على أن يجعل الأعراض أعياناً محسوسة، وقد دل الدليل على ذلك فتأتي البقرة وآل عمران غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير تحاجان عن صاحبهما، والله يقيم الميزان لقطع الحجة على الناس لا ليعلم سبحانه ما لم يعلمه من مقادير أعمالهم وما يستحقون، ولهذا يقيم الله شهداء عليهم فإن أبوا أشهدهم على أنفسهم وانطق جوارحهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم عليهم كما قال تعالى (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) وهذه الشهادة لقطع العذر عليهم ومن ذلك كتابة الأعمال وتوكيل الملكين عليهم رقيب وعتيد والميزان، لقطع الحجة حتى يدخل كل واحد منهم منزلته بلا جدال وينقطع عذره.

والمقصود من نصب الميزان إقامة العدل في الخلق، ولذا يُفسره بعض السلف بذلك كما يروى عن مجاهد والأعمش والضحاك وليس مرادهم نفي الميزان على الحقيقة ولكن مرادهم بيان حكمته وعلته، وهو ميزان محسوس حقيقة، به تثقل الميزان وبه تخف، كما قال تعالى (فمن ثقلت موازينه) وقال (ومن خفت موازينه).

ولا يثبت في صفة الميزان وحجمة وعدده في صريح الكتاب والسنة شيء، وجاء في السنة إثبات الكفة، وجاء في الأثر عن ابن مسعود وابن عباس والحسن وعمرو بن دينار أن له كفتين، وأقرب شيء في إثبات الكفتين ظاهر حديث البطاقة كما في الترمذي من حديث عبدالله بن عمرو، في الرجل الذي يؤتى به، فينشر له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مد البصر، فيوضع في كفة، ويؤتى ببطاقة فيها شهادة أن لا إله إلا الله فتوضع في كفة قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(فطاشت السجلات وثقلت البطاقة)، وفي المسند من حديث عبدالله بن عمرو قال صلى الله عليه وسلم: (إن السموات السبع والأرضين السبع لو وُضعت في كفة ولا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله).

وعامة السلف على أن للميزان له كفتان كفة للحسنات وكفة للسيئات، فقد يصح الوزن بكفة واحدة وقد يصح بأكثر، والله أعلم بذلك، وإنما جعل الله الله الميزان لقيم الحجة على الخلق، فيروا أعمالهم حسنات وسيئات، والله يعلم موضع العبد من الجنة والنار بلا كتابة ولا ملائكة ولا حساب ولا ميزان ولا شهود، فلو شاء لأخذ العبد من قبره إلى موضعه الذي ينتهي إليه من الجنة والنار من غير أن يمر على شيء قبله، ولكن الله يريد إقامة الحجة على العباد ويقطع الأعذار حتى ينزل كل واحد منزله ويعلم أن ذلك بما كسبته يمينه فلا يدعي ظلماً ولا بخساً ولا هضماً.

ويذكر بعض السلف أن للميزان لساناً، وأعلى شيء جاء في ذلك عن ابن عباس يرويه الكلبي عن أبي صالح عنه، وقال به غير واحد من التابعين كالحسن والضحاك، والميزان الدنيوي المحسوس له لسان وهو ما يكون بين الكفتين متوسطاً فميلانه ينطق برجحان كفة على أخرى، وقد فسر بعض السلف قوله تعالى (وأقيموا الوزن) بلسان الميزان، روي هذا عن ابن عباس وأبي الدرداء وعطاء والله أعلم.

وتوزن بالميزان الأعمال والعاملون لها، ففي الصحيحين من حديث (إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، إقرأوا (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا).

وفي المسند من حديث علي أن ابن مسعود صعد شجرة فجعلت الريح تكفؤ، فضحك القوم منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مم تضحكون؟ قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه، فقال: والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد.

ويختلف الناس في الوزن بحسب إسلامهم وكفرهم، فمنهم من لا يوزن له إلا السيئات لأنه لا حسنات عنده وذلك الكافر، فإن كفره يُحبط كل حسنت عنده، فلا توزن حسناته يوم القيامة، وإنما يراها ويتحسر عليها ولا يجازى بها، وعلى هذا فلا يوزن عمله إلا بكفة واحدة تريه مقدار سيئاته ليعلم مكانه في النار ويقطع اللّه بذلك جداله وعذره ولجاجته، قال تعالى (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله) وقال (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) وأما رؤيته له وحسرته عليه بلا ثواب، فكما في قوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد اللّه عنده فوفاه حسابه).

ومن الناس من يوزن له الحسنات فحسب، لأنه ليس لديه سيئات، وهؤلاء قلة من عموم الخلق، وليس المراد أنهم لا يخطئون ولكن اللّه أقام من الأسباب ما جعلهم يقدمون عليه بلا سيئات، كمن ابتلاهم قبل الحشر فغفر لهم بما سبق فلم يبق لديهم خطايا كما في المسند والترمذي من حديث سعد قال صلى اللّه عليه وسلم: (ما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة)، ومنهم من تابوا عند حضور الموت من سيئاتهم فتاب اللّه عليهم، ومنهم كُمّل الخلق كالأنبياء ومن قرب منهم، ممن إذا وقعت منه الخطئية كُفّرت بالحسنات الكثيرة قبل يوم العرض (إن الحسنات يُذهبن السيئات)، ويلحق بهؤلاء من دل الدليل عليه أنه يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب.

وإنما يزن اللّه لهؤلاء حسناتهم ليعرفوا مرتبتهم من الجنة ومنزلتهم فيها، ويُسلموا بعدل اللّه لهم وكرمه ورحمته بهم، فيرضوا ويقروا بذلك عيناً.

والميزان قبل الصراط وقبل ورود الناس عليه، وكل حقوق اللّه يفصل فيها في الميزان قبل الصراط للمؤمنين والكافرين، إلا من كان من أهل النار من الموحدين فإن اللّه يرجيء حقوقهم التي تكون بينهم إلى ما بعد خروجهم منها حيث يتقاضون الحقوق بعد الخروج من النار وقبل دخول الجنة، كما قال صلى اللّه عليه وسلم: (يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقص لبعضه من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في

دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة بمنزله كان في الدنيا).

وأهل النار إما كفار وإما موحدون عصاة:

فأما من كان من الكفار فإنه يقتص منه ويقتص له قبل دخوله النار وقبل دخول خصومه الجنة أو النار.

وأما أهل النار من العصاة الموحدين فالحقوق التي لهم وعليهم إما لمؤمن سبقهم إلى الجنة وإما لكافر معهم في النار، فالقصاص فيها يكون قبل دخولهم ودخول خصومهم، وإن كانت الحقوق بين أهل النار العصاة الموحدين فإن قصاصهم يكون بعد خروجهم من النار وقبل دخولهم الجنة يرتفعون بذلك منزلة، لما تقدم في حديث القنطرة السابق.

وأما تحريم دخول احد من أهل الجنة والنار الكفار لمقعده قبل القصاص من بعضهم فلحديث عبدالله بن أنيس في المسند قال صلى الله عليه وسلم قال الله: (أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار، وله عند أحد من أهل الجنة حق، حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، وله عند رجل من أهل النار حق، حتى أقصه منه حتى اللطمة)

فأهل الجنة الداخلون لها ابتداء يقتصون الحقوق بينهم لأنها تزيد من منزلة واحد وتنقص الآخر، ومثلهم أهل النار الكفار يقتصون الحقوق بينهم قبل دخولهم لأنها تزيد واحداً في العذاب وتخفف الآخر.

ومن العلماء من جعل الوزن في موضعين موضع قبل الصراط، وموضع بعد الصراط في القنطرة بين الجنة والنار للحقوق لمن خرج من النار أن يستوفوا حقوقهم، والله أعلم.